يقول انه دخل على ابن زهر وقد اسن وعليه زى البادية اذ كان يسكن بحصن استبة فلم يعرفه فجلس حيث انتهى به المجلس وجرت المحاضرة ان انشد لنفسه موشحة وقع فيها. كحل الدجى يجرى • من مقلة الفجر • على الصباح • ومعصم النهر • فى حلل خضر • من البطاح ٨ فتحرك ابن زهر وقال انت تقول هذا قال اختبر قال ومن تكون فعرفه فقال ارتفع فوالله ما عرفتك قال ابن سعيد وسابق الحلبة التى ادركت هولا ابو بكر بن زهر وقد شرقت موشحاته وغربت قال وسمعت ابا الحسن بن سهل بن مالك يقول قيل لابن زهر لو قيل لك ما ابدع ما وقع لك فى التوشيح فقال كنت اقول.

ما للموله • من سكره لا يفيق • ٨ • يا له سكران
هل تستعاد • ايامنا بالخليج • وليالينا ٨ اذ يستفاد • من النسيم الاريج • مسك دارينا
واذ يكاد • حسن المكان البهيج • ان يحيينا ٨ نهر اظله • دوح عليه انيق • مورق فينان
والماء يجرى • وعايم وغريق • من جنى الريحان ٨ واشتهر بعده ابن حيون الى ان قال وبعد هولا ابن حزمون بمرسية ذكر ابن الرائس ان يحيى الخزرجى دخل عليه فى مجلسه فانشده موشحة لنفسه فقال ابن حزمون ما الموشح بموشح حتى يكون عاريا من التكلف فقال على مثل ماذا فقال على مثل قولى • ٥
يا هاجرى • هل الى الوصال • منك سبيل ٨ او هل يرى • عن هواك سال • قلب العليل
وابو الحسن سهل بن مالك بغرناطة قال ابن سعيد كان والدى يعجب بقوله
ان سيل الصباح فى الشرق • عاد بحرا فى اجمع الافق • فتداعت نوادب الورق
اتراها خافت من الغرق • فبكت سحرة على الورق • واشتهر باشبيلية لذلك العهد ابو الحسن بن الفضل قال ابن سعيد عن والده سمعت سهل بن مالك يقول له يا ابن الفضل لك على الوشاحين الفضل بقولك • ٥ ٨
واحسرتى لزمان مضى • عشية بان الهوى وانقضى • وافردت بالرغم لا بالرضى • وبت على جمرات الغضى ٨ اعانق بالفكر تلك الطلول • والثم بالوهم تلك الرسوم
قال وسمعت ابا بكر بن الصابونى ينشد الاستاذ ابا الحسن الدباج موشحاته غير ما مرة فما سمعته يقول له هدرك الا فى قولك ٥
قسما بالهوى لذى حجر • ما لليل المشوق من فجر ٨ جمد الصبح ليس يطرد • ما لليلى فيما اظن غد • صح يا ليل انك الابد ٨ او قصت قوادم النسر • فنجوم السماء لا تسرى
ومن موشحات ابن الصابونى قوله ٨ ما حال صب ذى ضنا واكتياب ٨
امرضه يا ويلتاه الطبيب • عامله محبوبه باجتناب • ثم اقتدى فيه الكرى بالحبيب
جفا جفونى النوم لكننى • لم ابكه الا لفقد الخيال • وذا الوصال اليوم قد غرنى
منه كما شاء وشاء الوصال • فلست باللايم من صدنى • بصورة الحق ولا بالمحال
واشتهر بين العدوة ابن خلف الجزايرى صاحب الموشحة المشهورة • ٥ •
يد الاصباح • قدحت زناد الانوار • من مجامر الزهر ٨ وابن حزمون البجائى وله من موشحة ٤
ثغر الزمان موافق • حياك منه بابتسام ٨ ومن محاسن الموشحات موشحة ابن سهل شاعر اشبيلية وسبتة من بعدها
هل درى ظبى الحمى ان قد حمى • قلب صب حله عن مكنس
فهو فى نار وخفق مثل ما • لعبت ريح الصبا بالقبس • وقد نسج على منواله فيها صاحبنا الوزير ابو عبد الله بن الخطيب شاعر الاندلس والمغرب لعصره فقال • ٥ ٨ ٥
جادك الغيث اذا الغيث همى • يا زمان الوصل بالاندلس • لم يكن وصلك الا حلما
فى الكرى او خلسة المختلس • اذ يقود الدهر اشتات المنى • ينقل الخطو على ما يرسم
زمرا بين فرادى وثنا • مثل ما يدعو الوفود الموسم • والحيا قد جلل الروض سنا
فثنا الازهار فيه تبسم • وروى النعمان عن ماء السما • كيف يروى مالك عن انس
فكساه الحسن ثوبا معلما • يزدهى منه بابهى ملبس • فى ليال كتمت سر الهوى
بالدجى لولا شموس الغرر • مال نجم الكاس فيها وهوى • مستقيم السير سعد الاثر
وطر ما فيه من عيب سوى • انه مر كلمح البصر • حين لذ الانس شيا او كما
هجم الصبح هجوم الحرس • غارت الشهب بنا او ربما • اثرت فينا عيون النرجس
اى شى لامرئ قد خلصا • فيكون الروض قد مكن فيه • تنهب الازهار فيه الفرصا
امنت من مكره ما تتقيه • فاذا الماء تناجى والحصا • وخلا كل خليل باخيه
تبصر الورد غيورا برما • يكتسى من غيظه ما يكتسى • وترى الاس لبيبا فهما
يسرق السمع باذنى فرس • يا اهيل الحى من وادى الغضا • وبقلبى سكن انتم به
ضاق عن وجدى بكم رحب الفضا • لا ابالى شرقه من غربه • فاعيدوا عهد انس قد مضى
تنقذوا عانيكم من كربه • واتقوا الله واحيوا مغرما • يتلاشى نفسا فى نفس
حبس القلب عليكم كرما • افترضون عفاء الحبس • وبقلبى منكم مقترب
باحاديث المنى وهو بعيد • قمر اطلع منه المغرب • شقوة المغرى به وهو سعيد
قد تساوى محسن او مذنب • فى هواه بين وعد ووعيد • ساحر المقلة معسول اللمى
جال فى النفس مجال النفس • سدد السهم وسمى ورمى • ففؤادى نهبة المفترس
ان يكن جار وخاب الامل • وفؤاد الصب بالشوق يذوب • فهو للنفس حبيب اول
ليس فى الحب لمحبوب ذنوب • امره معتمل ممتثل • فى ضلوع قد براها وقلوب

حكم

حكم اللحظ بها فاحتكما • لم يراقب فى ضعاف الانفس • منصف المظلوم ممن ظلما
ومجازى البر منها والمسى • ما لقلبى كلما هبت صبا • عاده عيد من الشوق جديد
كان فى اللوح له مكتتبا ٥ • قوله ان عذابى لشديد • جلب الهم له والوصبا
فهو للاشجان فى جهد جهيد • لاعج فى اضلعى قد اضرما • فهى نار فى هشيم اليبس
لم يدع فى مهجتى الا ذما • كبقاء الصبح بعد الغلس • سلمى يا نفس فى حكم القضا
واعمرى الوقت برجعى ومتاب • دعك من ذكرى زمان قد مضى • بين عتبى قد تقضت وعتاب
واصرفى القول الى المولى الرضى • ملهم التوفيق فى ام الكتاب • الكريم المنتهى والمنتمى
اسد السرج وبدر المجلس • ينزل النصر عليه مثل ما • ينزل الوحى بروح القدس
الى هذا الحد انتهى ابن خلدون من موشحة لسان الدين ولا ادرى لم لم يكملها وتمامه قوله
مصطفى الله سمى المصطفى • الغنى بالله عن كل احد • من اذا ما عقد العهد وفا
واذا ما فتح الخطب عقد • من بنى قيس بن سعد وكفى • حيث بيت النصر مرفوع العمد
حيث بيت النصر محمى الحمى • وجنى الفضل زكى المغرس • والهوى ظل ظليل خيما
والذى هب الى المفترس • هاكها يا سبط انصار العلى • والذى ان عثر الدهر اقال
غادة البسها الحسن ملا • تبهر العين جلاء وصقال • عارضت لفظا ومعنى وحلا
قول من انطقه الحب فقال • هل درى ظبى الحمى ان قد حمى • قلب صب حله عن مكنس
فهو فى خفق وحر مثل ما • لعبت ريح الصبا بالقبس • ثم قال ابن خلدون
واما المشارقة فالتكلف ظاهر على ما عانوه من الموشحات ومن حسن ما وقع لهم فى ذلك موشحة ابن سناء الملك المصرى التى اشتهرت شرقا وغربا. واولها ٨ حبيبى ارفع حجاب النور • عن العذار
تنظر المسك على كافور • فى جلنار ٨ كللى يا سحب تيجان الربا بالحلى ٥
واجعلى سوارها منعطف الجدول ٨ ولما شاع فى التوشيح فى اهل الاندلس واخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه وتصريع اجزائه نسجت العامة من اهل الامصار على منواله ونظموا فى طريقته بلغتهم الحضرية من غير ان يلتزموا فيه اعرابا واستحدثوا فنا سموه بالزجل والتزموا النظم فيه على مناحيهم الى هذا العهد فجاءوا فيه بالغرايب واتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة
واول من ابدع فى هذه الطريقة الزجلية ابو بكر بن قزمان وان كانت قيلت قبله بالاندلس لكن لم يظهر حلاها ولا انسبكت معانيها واشتهرت رشاقتها الا فى زمانه وكان لعهد الملثمين وهو امام الزجالين على الاطلاق قال ابن سعيد رايت ازجاله مروية ببغداد اكثر مما رايتها بحواضر المغرب قال وسمعت ابا الحسن ابن جحدر الاشبيلى امام الزجالين فى عصرنا يقول ما وقع لاحد من ايمة هذا الشان مثل ما وقع لابن قزمان شيخ الصناعة وقد خرج الى متنزه مع بعض اصحابه فجلسوا تحت عريش وامامهم تمثال اسد من رخام يصب الماء على صفايح من الحجر فقال
وعريش قد قام على دكان ٨ بحال رواق • واسد قد ابتلع ثعبان • من غلظ ساق ٨ وفتح فمو بحال انسان • به الفواق • وانطلق من ثم على الصفاح • والقى الصياح ٨ وكان ابن قزمان مع انه قرطبى الدار كثيرا ما يتردد الى اشبيلية وينتاب نهرها الى ان قال ابن خلدون وجاءت بعدهم حلبة كان سابقها مدغليس وقعت له العجايب فى هذه الطريقة فمن قوله فى زجله المشهور ٨ ورذاذ دق ينزل • وشعاع الشمس يضرب
فترى الواحد يفضض • وترى الاخر يذهب ٨ والنبات يشرب ويسكر • والغصون ترقص وتطرب
وتريد تجى الينا • ثم تستحى وترجع ٨ ومن محاسن ازجاله قوله لاح الضيا والنجوم حيارى
ثم قال وظهر بعد هولاء فى اشبيلية ابن جحدر الذى فضل على الزجالين فى فتح ميورقة بالزجل المشهور الذى اوله اوله
من عاند التوحيد بالسيف يمحق • انا برى ممن يعاند الحق ! قال ابن سعيد لقيته ولقيت تلميذه المعيع صاحب الزجل المشهور الذى اوله • يا ليتنى ان ريت حبيبى • اقبل اذنو بالرسيلا
ليش اخذ عنق الغزيل • وسرق فم الحجيلا ٥ ثم جاء من بعدهم ابو الحسن سهل بن مالك امام الادب ثم من بعدهم لهذه العصور صاحبنا الوزير ابو عبد الله بن الخطيب امام النظم والنثر فى الملة الاسلامية غير مدافع فمن محاسنه فى هذه الطريقة امزج الاكواس واملالى نجدد • ما خلق المال الا ان يبدد
ومن قوله على طريقة الصوفية وينحو منحى الششترى منهم ٥ • بين طلوع وبين نزول • اختلطت الغزول • ومضى من لم يكن • وبقى من لم يزول • ومن محاسنه ايضا قوله فى ذلك المعنى • البعد عنك يا بنى اعظم مصايبى • وحين حصل لى قربك سيبت قاربى • انتهى المقصود جلبه من كلام ابن خلدون وقد اطال رحمه الله تعالى فى هذا المقصد ولم ارد ايراد جميع كلامه لطوله وعدم تعلق الغرض به وفيما ذكرته كفاية لتعلقه بامر لسان الدين رحمه الله وشهادته له انه شاعر الاسلام غير مدافع وانه انتهت اليه رياسة الصناعة الزجلية والتوشيحية وابو بكر بن باجة الذى اشار اليه ابن خلدون هو ابو بكر بن الصايغ التجيبى السرقسطى الذى قال فى حقه لسان الدين فى الاحاطة اخر فلاسفة الاسلام بجزيرة الاندلس وكان بينه وبين الفتح ابن خاقان صاحب القلايد معاداة فلذلك هجاه فى القلايد وجعله اخر ترجمة فيها اذ قال ما نصه الاديب ابو بكر بن الصايغ هو رمد عين الدين • وكمد نفوس المهتدين • اشتهر سخفا وجنونا وهجر مفروضا ومسنونا • فما يتشرع • ولا ياخذ فى غير الاضاليل ولا يشرع • ناهيك من رجل ما تطهر من جنابة

King Saud University
Copyright © King Saud University